صور لم تكتمل

حـدثتُ نفسـيَّ لمـا طـالَ مـــوعدُنـــا
وشـاقني الوجـدُ للقربـى وللحجـــرِ
حـدثتُ نفسـيَ لمـــا طـاف طائفُهـــا
هل أبدأ السير في ركبي وفي سفري
مـن أرضِ مكـةَ والإيمـان يدفعنـــي
والنـورُ يسـطعُ فـي أرجاءهـا النضـرِ
من شرقِ عمان أم من غربها الخضرِ
أم مـن شـوامخها مـن تربهـا العطـرِ
هـل أتـركُ النيـلَ والأهـرامَ متجهـــا
وأعبـر النهـــرَ للسـودان للجـزرِ
والشـامُ تجـذبني مـن سـحر غوطتهـا
والشامُ في زهوها يحلو بها نظـري
سـأبدأ الخطـو فـي سيري واجمعُـــها
وأسـأل الأرضَ عن تاريخها العُمَري
روحـــي تطـــوفُ علـــى لأقصـــى
وصـــــــــــــــــــــخرتِه
وتســـأل الله أن تنجـــو مـــن العَثـــر
لممـتُ تُربـــكِ يـا نـابلسَ أحملُـــهُ
حتـى أقبِّلَـــه إن طـالَ بـي سفـــري
رسـمتُ عيبـــالَ [1] فـــي أرجـــاءِ
دارتنـــــــــــــــــــــــا
رسـمتُ نبعتَـــه فـي سفحـهِ الخَضِـــرِ
رمانـةُ البيـتِ والزيتـون تقطفـــــــه
أمـــــي وتُهـــدي السَّـــلَ بالثـــمر
رسمتُ مئذنـــةً فـي الحـــي باسقـــةً
وبـاحةَ المسـجد المحفـوفِ بالشجـــرِ
صـــوتُ المـــؤذنِ هـــدارُ بساحتـــهِ
والعابدين وصوت القارئ الحصري
وسـمتُ حائطنـا جـرزيم [2] أذكـرُه
أذكِّـــرُ الأهـلَ والأطفـالَ بالصـــورِ
هـذي منازلنـا فـي سفحِـــهِ رَقَـــدَتْ
قصـــرٌ جديـدٌ، وهـذا بيتنـا الأثـري

([1]) عيبال: الجبل الشمالي في نابلس.
([2]) جرزيم: الجبل الجنوبي في نابلس.

رسمتُ ساقيةً في الحي جارِيَـــــةً
وصبيةُ الحي حول الماء في سَمَـرِ
رسمتُ حيفا ووادِيها وكَرمِلَـــها
رسـمتُ يافـا وشـطَ البحـرِ والنهَـرِ
والسائرينَ إلى (روبين)[3] في دَعـــةٍ
ومـا علمنـا بأنَـا لُعبـةُ القـدرِ
رغـمَ الشَـتاتِ فـإني قـد حفظـتُ لهـا
فكري وعمري مُرصَّعـةً على الجدُرِ
ليسـألَ الطفـلُ إن شـبَّت مداركـه
فـي كـل يـوم يراهـا قبلـةَ النظـرِ
لأحفـظَ العهـدَ للأجيـالِ قادمـة
ويعلـم الجيـلُ بعـد الجيـلِ بـالخبَرِ

* * *

رسـمتُ بغـدادَ والنهـرينِ بَينَهُمـا
حضـارةٌ هـوتْ مـن قَسـوةِ البشـرِ
هـذا يريـدُ بقـاءً لا زوالَ لـه
وذاكَ يطمـعُ فـي البتـرولِ
والثمـر
رسـمتُ (هـارون) وألأجنـادُ تحرسُـه
والعدلَ ينشره في البيـد والحضَـرِ
ومجلـس العلـمِ (والمـأمونُ) بينهمـا
والجيشُ والجندُ تحميهم من الخطرِ
رسمتُ مُعتصماً قد جاءَه خبـرٌ
فـاهتزَّ منتصـراً للحـقِ والخبـرِ
واستعصـمَ اليومَ فـي بغـدادَ نسوتُهـا
فمـا انتُصرنَ ومـا حققـنَ من وطَـرِ
ما اهتزَ منتصـرٌ من بين امتنـا
وكـل معتصـمٍ قـد بـاتَ فـي خَـدرِ
مُجَسَّمـاتٌ علـى الجـدرانِ أتركُـها
كالسـابقينَ أجـادوا الـنقشَ بـالحجرِ
رسـمتُ جِلَـقَ فـي أفـراحِ وَحـدَتِها
بحـرٌ يمـوجُ بآمـالٍ مـن الفِكَـرِ
رسمتُ مصـرَ وقـد أرخـت جَـدائلها
في يومِ ثورتهـا تزهـو على البشـرِ

([3]) روبين: هو نهر روبين قرب يافا كان يصطاف إليه اليافاويون

رسمــتُ قائِــدَها يبنـــي بهمتِـــهِ
والسدُ يعلــو وآيـــاتٍ مـن الصـُورِ
رسـمتُ (ناصِـرَ) والدنيـــا برُمتهـــا
تصـغي إليـه بمـا ألقـــى مـن العِبـرِ
رســمتُ هامتَـــــه والكــل مســتمعٌ
يدنوا بإصبعــهِ من بــؤرةِ الشــررِ
هـذي القنـاةُ لنـا يـا مصـرُ فاستلمـــي
ويا جزائر ُحـان ألأمــرُ فانتصـري
مـن أجـلِ عزتنـــــا نـادى بوحدتنـــا
فلبّــتِ الشـامُ تأييداً علـى الأثـــرِ
وجـــاء بـــالعلمِ عنوانـــا لثورتـــه
وأنصـــــف الـــزارعَ المحفـــوفَ
بالخـــــــــــــــــــــــطرِ
لــمْ يــثنِ هامتــه عــادٍ لـــَه اشِــرٌ
ولا النوائـــبُ نالـــــت فِكـــرَه
النَضِـــــــــــــــــــــــرِ
لــولا المنايــا لكــان الأمــرُ مختلــفاَ
وخلـوةُ (الكامـبِ) [4] مـا كانـت مـن
الصـــــــــــــــــــــــورِ
رسـمتُ لبنــانَ مَزهـواً بأرزَتـــــه
تمتدُ فرحتُــه في ساعـــةِ السحـرِ
لــكَ القوافـــيَ يــا لبنـــان أنثـــرهـــا
زهـــراً يُعطِّـــرُ أو عِطـــراً مـن
الزَهـــــــــــــــــــــــرَ
لا تحسبـــنَّ لهيــبَ النـــارِ مُتقـــداً
مـن نافِــخِ الكيرِ أو من ريحهِ الـقَذِرِ
فالنـارُ يوقــدهـــا حـــرٌ وذو عَبَـــقٍ
وهَّاجــةُ النـارِ من مُستصغَرِ الشررِ
أعــادَ (صـنّينُ) للدنيـــا شوامخـَــها
وزنّـــرَ الحــقَ بالإيمـــانِ والظفـرِ
أعــادَ لبنـــانُ للتأريـــخِ رونقَـــــه
وللعروبـــــةِ رايـاتٍ لهـــا خُضُـرِ
فليخسَـأ البَغـيُ ولتخســأ ركائـــزُه
مـــا كـــانَ لبنـــانُ إلا دُرةَ الـدُررِ

([4]) كامب ديفيد مكان توقيع معاهدة السلام بين مصر والعدو.